(4) تهجير النزوح بعد حرب حزيران عام 1967

2024/1/18

أدت حرب حزيران 1967 إلى احتلال إسرائيل للضفة الغربية وقطاع غزة، بالإضافة إلى أجزاء أخرى من العالم العربي، وقد توالت الكثير من الأحداث السياسية والعسكرية على المنطقة منذ ذلك الوقت وحتى توقيع اتفاقية أوسلو عام 1993. ففي 22 تشرين ثاني 1967 صدر قرار الأمم المتحدة رقم 242 الذي أكد عدم جواز الاستيلاء على الأراضي عن طريق الحرب، ودعا إلى انسحاب الجيش الإسرائيلي من الأراضي العربية التي احتلتها خلال حرب حزيران. وفي 17 أيلول عام 1970 اندلعت معارك عنيفة بين الحكومة الأردنية وفصائل المقاومة الفلسطينية في الأردن، وهو ما اصطلح على تسميته "أحداث أيلول المؤسفة" والذي أسفر عن انتقال فصائل المقاومة إلى سوريا ثم إلى لبنان. في يوم 6 تشرين أول 1973 اندلعت حرب أكتوبر بين مصر وسوريا من جهة وإسرائيل من جهة أخرى، وقد انتهت الحرب بإعلان وقف إطلاق النار بين الأطراف المتحاربة ثم صدور القرار رقم 338 من مجلس الأمن في 22 تشرين أول من نفس العام.

في 17 أيار 1977 أسفرت انتخابات الكنيست الإسرائيلي عن هزيمة حزب العمل وفوز تكتل الليكود، وتولى مناحيم بيغن رئاسة الحكومة. وفي 19 تشرين ثاني من نفس العام، قام الرئيس المصري أنور السادات برحلته المشهورة إلى إسرائيل. وفي 17 أيلول 1978 توصل الطرفان المصري والإسرائيلي، بمساعدة الرئيس كارتر، إلى اتفاقيات كامب ديفيد. في حزيران 1982 شنت القوات الإسرائيلية هجوما برا وبحرا وجوا على مواقع الثورة الفلسطينية في الجنوب اللبناني، بتشجيع من الإدارة الأمريكية. وقد واصلت هذه القوات تقدمها حتى وصلت إلى مشارف بيروت في 13 حزيران 1982، وقامت بتطويقها ومحاصرتها. وبعد مفاوضات عسيرة وغير متوازنة، تم التوصل إلى وقف لإطلاق النار يوم 13 آب، بعد حرب استمرت 87 يوما، وسط تخاذل وتواطؤ وعجز عربي مخجل. وفي يوم 21 آب 1982 غادرت أول دفعة من المقاتلين الفلسطينيين ميناء بيروت. وفي يوم 17 أيلول 1982 دخلت قوة كبيرة من القوات اللبنانية مخيمي صبرا وشاتيلا وارتكبت مجزرة بتشجيع وإشراف وزير الدفاع الإسرائيلي حينذاك، أرئيل شارون، راح ضحيتها أكثر من ألف طفل ورجل وامرأة، معظمهم من الفلسطينيين.

في 9 كانون أول عام 1987 اندلعت الانتفاضة الشعبية في قطاع غزة عقب إطلاق جنود الاحتلال النار على باص وقتل أربعة من ركابه، ثم انتقلت الانتفاضة منه إلى الضفة الغربية. وفي 31 تموز 1988 أعلن الملك حسين فك العلاقة القانونية والإدارية (فك الارتباط) مع الضفة الغربية. وبعد ذلك ببضعة شهور، في 15 تشرين ثاني 1988، أعلن المجلس الوطني الفلسطيني الاستقلال وقيام دولة فلسطين. وقد اعترف عدد كبير من الدول بهذه الدولة بعد إعلانها.

في 2 آب 1990 اجتاحت القوات العراقية الأراضي الكويتية، وعلى أثر ذلك شكلت أمريكا تحالفا دوليا لضرب العراق انتهى بهزيمة العراق وطرد القوات العراقية من الأراضي الكويتية. وفي أعقاب ذلك أعلن الرئيس الأمريكي جورج بوش عن مبادرة لصنع السلام في منطقة الشرق الأوسط ودعا إلى مؤتمر دولي للسلام في مدريد عام 1991، والذي أسفر عن توقيع إعلان المبادئ (الذي يعرف باتفاقية أوسلو) في واشنطن بتاريخ 13 أيلول 1993.

كان النصر الذي حققته إسرائيل في حرب حزيران 1976 فرصة ثمينة بالنسبة لإسرائيل لتنفيذ مشاريعها التوسعية ومخططات التهجير المعدّة سابقاً. وقد أشارت الكثير من الدراسات والتقارير إلى وجود خطط ومشاريع جاهزة لتهجير أكبر عدد من الفلسطينيين وترحيلهم من الضفة الغربية وقطاع غزة عندما تصبح الفرصة سانحة. فقد كشفت صحيفة "هآرتس" النقاب عن مخططات إسرائيلية سرية استهدفت تفريغ قطاع غزة من سكانه الفلسطينيين في الأعوام التالية لحرب عام 1967 ومحاولة توطينهم في شبه جزيرة سيناء والدول العربية المجاورة، وخصوصاً الأردن. كما ألمح وزير إسرائيلي سابق (أهارون ياريف) إلى وجود "خطة جاهزة" تدعو إلى استغلال حالة الحرب من أجل ترحيل ما بين 700 و800 ألف عربي.

لم تتوقف مخططات إسرائيل لتهجير الفلسطينيين في السنوات التي تلت حرب حزيران عام 1967. فقد كشف تقرير لهيئة الإذاعة البريطانية نشر مؤخرا عن وجود وثائق بريطانية تشير إلى أن إسرائيل وضعت خطة سرية عام 1971 لترحيل الآلاف من فلسطينيي غزة إلى شمال سيناء. وأشار التقرير إلى أن الإسرائيليين يرون أن أي حل دائم لمشكلات قطاع غزة "يجب أن يتضمن إعادة تأهيل جزء من السكان خارج حدوده الحالية"، وأن أحد المسؤولين الإسرائيليين (شمعون بيريس الذي كان وزير النقل والاتصالات الإسرائيلي آنذاك) ذكر أن سياسة حكومته تشمل توطين الفلسطينيين في شمال شبه جزيرة سيناء المصرية.

وفي الواقع، فقد بدأت إسرائيل بتنفيذ ما تستطيع من مشاريع وخطط التهجير منذ اليوم الأول لحرب حزيران عام 1967. فقد سارعت بإخلاء عدد من القرى وطرد سكانها وتدمير بيوتهم، كما أجبرت الكثير من سكان الضفة الغربيّة على ترك منازلهم والخروج إلى الضفة الشرقية، وقامت بتنظيم حافلات تنقل السكان الفلسطينيين من الضفة الغربية إلى الحدود مع الأردن وأجبرتهم على توقيع وثيقة تفيد بأنهم يغادرون بمحض إرادتهم. كما أشار تقرير لمنظمة هيومن رايتس ووتش أن السلطات الإسرائيلية شجَّعت الهجرة القسرية للفلسطينيين في قطاع غزة أيضاً بعد حرب عام 1967، وأجبرتهم على ترك بطاقات الهوية وتوقيع وثائق تفيد بأنهم مغادرون بمحض إرادتهم وأن عودتهم مشروطة بالحصول على تصريح من السلطة العسكرية.

وخلال السنوات التي تلت ذلك، استمرت إسرائيل في عمليات تهجير صامته للفلسطينيين. كان هدفها الرئيسي هو الاحتفاظ بأكبر قدر ممكن من الأرض، وأقل قدر ممكن من السكان الفلسطينيين. وحيث أن الطرد الجماعي ليس سهلا في غير زمن الحرب، فقد لجأت إسرائيل إلى حزمة متنوعة من السياسات والإجراءات التي تهدف إلى تهجير الفلسطينيين

واقتلاعهم من أرضهم، والتي شملت هدم المنازل ومصادرة الأراضي وتشييد المستوطنات وعدم السماح لآلاف الأشخاص بالعودة إلى مكان إقامتهم الدائم في الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس، رغم حصولهم على بطاقات الهوية الصادرة عن سلطات الاحتلال العسكرية وخروجهم بتصاريح أو وثائق سفر إسرائيلية انتهت مدتها دون أن يتمكنوا من العودة، بحجة تجاوز فترة الإقامة المسموح بها في الخارج، بالإضافة إلى خلق صعوبات اقتصادية وتضييق فرص العيش لهم وتشجيعهم على الهجرة بشكل يبدو كأنه هجرة طوعية. وقد أشار تقرير للأمم المتحدة عام 1971 أن إسرائيل كانت تنفذ بصورة متعمدة سياسات تهدف إلى منع عودة سكان الأراضي المحتلة إلى بيوتهم وإخراج الذين يعيشون في منازلهم في الأراضي المحتلة، سواء عن طريق وسائل مباشرة مثل الترحيل أو غير المباشرة من خلال محاولات تقويض معنوياتهم أو عن طريق تقديم حوافز خاصة، كل ذلك بالهدف النهائي من الضم والاستيطان في الأراضي المحتلة.

وتشير بعض التقديرات أن عدد النازحين خلال الشهور الثلاثة للحرب (أي بين شهري حزيران وأيلول 1967) بلغ حوالي 240 ألف شخص (200 ألف في الضفة الغربية و 42 ألف في قطاع غزة). ولا يشمل هذا الرقم الأشخاص الذين كان مكان إقامتهم العادي والدائم في الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس قبل بدء الحرب، ولكنهم لحظة وقوع الحرب كانوا موجودين خارج الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس بشكل مؤقت لأغراض الدراسة أو العلاج أو العمل، ولم يتمكنوا من العودة إلى وطنهم بعد الحرب، ويقدر عددهم بحوالي 165 ألف شخص (حوالي 120 ألف من سكان الضفة الغربية و 45 ألف من سكان قطاع غزة). كما هاجر من الأراضي الفلسطينية خلال الفترة 1967–1992 حوالي 320 ألف شخص (منهم حوالي 171 ألف شخص من الضفة الغربية، وحوالي 114 ألف شخص من قطاع غزة وحوالي 35 ألف شخص من القدس الشرقية). فإذا أضفنا إلى هذا الرقم مجموع الأشخاص الذين هاجروا خلال الشهور الثلاثة للحرب (240 ألف شخص) وكذلك الذين كانوا يعملون ويسكنون في الخارج عند اندلاع الحرب ولم يتمكنوا من العودة إليها بعد الحرب (165 ألف شخص)، يكون مجموع الذين تم تهجيرهم من المناطق الفلسطينية ولم يتمكنوا من العودة إليها نتيجة الاحتلال الإسرائيلي حوالي 725 ألف شخص، دون أخذ الزيادة الطبيعية للسكان بالحسبان. وإذا افترضنا أن معدل الزيادة الطبيعية للسكان لهؤلاء المهاجرين هي نفس المعدل للمقيمين في الضفة الغربية وقطاع غزة، فإن من المتوقع أن يكون عدد هؤلاء المهاجرين قد وصل عام 1993، قبيل اتفاقية أوسلو، إلى حوالي مليون ونصف مليون نسمة.

بموازاة عمليات التهجير المتواصلة التي أعقبت حرب حزيران 1967، قامت إسرائيل بسلسة من الإجراءات والسياسات التي تهدف إلى تهويد الأراضي الفلسطينية التي احتلتها خلال الحرب، حيث قامت بضم مدينة القدس إليها وتوسيع مساحتها من 6.5 كيلومتر مربع إلى أكثر من 70 كيلومتر مربع من أراضي القرى غير المأهولة المجاورة لها. كما قامت بمصادرة الكثير من الأراضي، بذرائع مختلفة، لبناء مستوطنات ومعسكرات للجيش وطرق الالتفافية تخدم المستوطنين، مما أدى إلى تقليص المساحة التي يسيطر عليها الفلسطينيون بشكل متزايد.

وقد بلغ عدد المستوطنات التي أقامتها إسرائيل في الضفة الغربية لغاية عام 1993، أي عشية توقيع اتفاقية أوسلو، 140 مستعمرة يقطنها حوالي 270 ألف مستوطن، أكثر من نصفهم في منطقة القدس. أما في قطاع غزة، فقد بلغ عدد المستوطنات الإسرائيلية خلال تلك الفترة 19 مستعمرة يقطنها حوالي ثمانية آلاف مستوطن، وتحتل مساحة تقارب 23 كيلومتر مربع، بالإضافة إلى مساحة مماثلة لها كمناطق آمنة تحيط بالمستوطنات، أي ما يقارب 12.6% من المساحة الكلية لقطاع غزة.